مختصر خطبة صلاة الجمعة 29/ 11/ 2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الاعتصام بالله تعالى وبكتابه)

الاعتصام: افتعال، من العصمة؛ وهو التمسك بما يعصمك، ويمنعك من المحذور والمخوف، ومنه سميت القلاع: العواصم؛ لمنعها وحمايتها، والاعتصام نوعان: اعتصام بالله، واعتصام بحبل الله.

أما الاعتصام بالله: فهو أن تجعله ملجأ ومعاذاً، وأن تثق به وتتمسك بدينه وتوحيده، وألا تلتفت إلى غيره.

أخرج البخاري عن البراء بن عازب: قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: **«إذا أتيت مضجعك فتوضّأ وضوءك للصّلاة، ثمّ اضطجع على شقّك الأيمن، ثمّ قل: اللّهمّ إنّي أسلمت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللّهمّ آمنت بكتابك الّذي أنزلت، وبنبيّك الّذي أرسلت، فإن متّ من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهنّ آخر ما تتكلّم به»**، قال: فردّدتها على النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فلمّا بلغتُ "آمنت بكتابك الّذي أنزلت"، قلت: "ورسولك"، قال: **«لا، ونبيّك الّذي أرسلت»**. فقوله: "لا منجا ولا ملجا إلا إليك" هو اعتصام بالله وحده، والتفات عن غيره إليه وفرار منه إليه.

ومِن هنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر الاستعاذةَ بالله، والاستعاذة: اعتصام بالله واحتماء به، ليجيره ربه من المخاوف والمهالك. فيستعيذ النبي صلى الله عليه وسلم بالله من الفتن، ومن الفقر، ومن الجوع، ومن الهم والحزن، ومن العجز والكسل، ومن غلبة الدين وقهر الرجال، ويستعيذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، ويستعيذ بالله من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ويستعيذ بالله من الهدم والغرق والتردي.

أما الاعتصام بحبل الله: فهو تمسكٌ بالقرآن الكريم بأن تتعلمَه وتفهمَ معانيه، وتأتمرَ بأمره وتنتهي عن نواهيه، وتعلمَه وتنشرَ معانيه.

أخرج الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنّ هذا القرآن سبب طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به، فإنّكم لن تضلّوا ولن تهلكوا بعده أبدا»**. قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].

عن علي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ألا إنّها ستكون فتنة»**، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: **«كتاب الله»**.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«تركت فيكم أمرين، لن تضلّوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنّة نبيّه»** [مالك].

ذكر الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قال: روى حماد عن ثابت وعلي بن زيد عن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة [براءة] فأتى على هذه الآية ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا . . .﴾ فقال: أي بني جهزوني جهزوني، فقال بنوه: يرحمك الله! لقد غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزو عنك. قال: لا، جهزوني. فغزا في البحر فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه فيها، ولم يتغير رضي الله عنه.

إنه الاعتصام والتمسك بكلام الله.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنّ هذا الصّراط محتضر، تحضره الشّياطين، ينادون: يا عبد الله! هلمّ هذا هو الطّريق، ليصدّوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإنّ حبل الله القرآن». والحمد لله رب العالمين